القصة الحادية والثلاثون - حققت وعدك صديقي

داليا سفيان نورهان

كعادتي في الشتاء ألتحف بكوفيتي العزيزة منبع الـدفء و الأمـان بالنسـبة لي .بـدأت أتصفح ديوان محمود درويش لكن لم أنتبه للوقت أو مايحدث حـولي ...وفجـأة ظهـر من العدم طيف صديقي فادي علـون شـهيد الفجـر كـما لقـب وأنـا أسـميه ملاكـي الحـارس ....للوهلـة الأولى اسـتغربت ودب الخـوف في قلبـي ..أيـن أنـت ؟؟ألم تستشهد؟؟

اقترب مني وناداني بأحب الألقاب عنـدي _نشـمية ...اغرورقـت عينـاي بالـدموع وخفق قلبي شوقا ...

_أخي !! هذاأنت ؟!!

_نعم غاليتي وعدتك بأن تكون هدية عرسك زيارة القدس، لكني خالفت وعـدي، واليوم عدت لأحققه لك ...

تعالي ...ولا تخافي ...

_وكيف أخاف وأنت معي ...مشينا في طريـق لا أعلـم فيـه أيـن نتوجـه، ولكـم أن تتخيلوا الفرح و الحزن والخوف والشوق ... شعور متضارب داخلي ...مع كـل هـذا المزيج اغرورقت عيناي ...وفجأة عطر غريب يداعب أنفي يا الله لم أشم عطـرا مثلـه من قبل ....

_فادي ماهذه الرائحة؟!

_أختي باختصار إنها دماء الشهداء التي تروي أرض فلسطين ....أهلا وسهلا بك في بلدك في أرضك وعرضك....فلسطين أردّدها وكل حرف من شفتيّ يعبق فخرًا وذخرًا .....هذه معشوقتي هذه روحي ...ركعت أقبل أرضا طالما عشقتها دهرًا.واختلط دمع العين بتراب الأرض واستنشقت هواءً عليلا هواء الحرية ...هواء النخوة ...وملأت صدري منه ....أجهشت بالبكاء كطفلة صغيرة سلبت منها لعبتها...

قاطعني صوت ملاك الحارس قائلا: هيا عزيزتي بينك وبين حلمك أمتار ...تمنيت لو أنها تخجل وتقصر...ركبنا دراجة نارية وانطلقنا نحو القدس ....صعدنا جبل الخليل ...وكان منظر القدس من هناك ساحرًا ....ومازلت لا اصدق أني سأرى عروس العرب قريبا ...مشينا بين الأشجار وبعدها دخلنا بين الأزقة الجميلة والعريقة ...شوارع تحكي قصصًا و أساطير مرت من هنا في زمن من الأزمنة ...تسمع صرخات وأنين و هتافات كلها أمل وحنين ...لاح في الأفق ضوء ساطع ذهبي كأنه ذهب خالص او عسل مصفى إنها قبة الصخرة...أجمل معلم تاريخي في القدس ...فادي كيف سنمر أمام المعبر دون تفتيش من هؤلاء الحثالة ...غمزني وهو يضحك لا أصدق أنك خائفة منهم ...بصوت حنون قال لي ممازحا ياخويفة...اقتربي من المعبر فأنت أقوى منهم فهم أضعف من بيت العنكبوت ....مررنا أمامهم ولم

ترمش لهم طرفة عين ....هل نحن أطياف ....لم يرونا أصلا....دخلنا ...لكن عضلاتي لاتستجيب لأوامر عقلي ...شعور غريب ....برد رهيب يسري في عروقي مسرى الدم في جسدي....دقات قلبي تسارعت وكأني أعدو في ماراثون ....وأخيرا تحقق الحلم ....بيت المقدس مسرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وزهرة المدائن ومدينة السلام ....أنا بين أحضانك ...أريد عناقك مطولا ....نسيت فادي وبدأت أنظر هنا وهناك ...كمن صدمه خبر أو خطف بصره....

_فادي أين حائط البراق ...وكنيسة القيامة ....خذي نفس أولاً وتذوقي هذه الكعكة ...وأعطيني رأيك **بصراحة** ...تناولتها بسرعة لنكمل المشوار ...كعك مقدسي أشهى ماتذوقته في حياتي ....صنعته مرابطات القدس ...إنه بركة أيديهن ...يا الله الزخرفة تأسر القلب قبل العقل....بنايات و معالم ساحرة ...جامع العمري ...المصلى المرواني ....كنيسة القيامة ...كنيسة الكرب ...هنا يجتمع الأذان مع أجراس الكنائس شعور بتلاحم لايوصف ....وهذا جدار البراق ....هوده اليهود ودنسوه ...هذا حقنا و مقدس من مقدساتنا ....وهذا يا غاليتي المسجد القبلي ...يا الله فرح وبكاء ...وأخيرا سأصلي بالأقصى ...يا رب متى ستتحرر ونأتي مهللين مكبرين .....بدات أركض كالظبية الحرة ...هذه أرضي وعرضي هذه حريتي ونصري ...هذه مسرى نبيي ...

هذه دمعة مقلتي ومهجة مبسمي .....

أمضينا اليوم كله ونحن نجوب بين معالم القدس، والفرح يغمرني ...فجأة سمعت صوتا يناديني، صوتًا من بعيد ....حبيبتي أفيقي .

قبل أن أفتح عينيّ، ودّعني فادي قائلا : وأخيرا حققت لك حلمك ....لاتنسيني أختاه ...وهكذا انتهى مشواري في أزقة القدس ....كانت الزيارة في الحلم وربما في تكون في الحقيقة. »

*****